شبهات المعاصرين
في ضوء فجائية الدعوة في القرآن الكريم

إعداد الدكتورة

إيناس جلال محمود القصاص

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالقاهرة

شبهات المعاصرين فى ضوء فجائية الدعوة فى القرآن الكريم

إيناس جلال محمود القصاص
قسم التفسير وعلوم القرآن– كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة جامعة الأزهر مصر .
البريد الألكترونى : Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

الملخص:
من خلال بيان أحد موضوعات القرآن الكريم، وهو موضوع فجائية الدعوة وأنها لم تسبق بإعداد بشري، تحاول الدراسة معالجة شبهات المعاصرين المشككين فى بعثة النبي محمدﷺ. وقد انقسمت الدراسة إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول لبيان "فجائية الدعوة" بمعنى أن النبيﷺ لم يتعرض لإعداد أرضي قام به معاصرون له، وذلك من خلال بيان أن النبيﷺ كان أميًا لم يقرأ فى صحفٍ ولم يكتب صحفًا بيده الشريفة، وأنه كان مخالفًا لمعاصريه منذ الصبا وخاصة فيما يتعلق بالأمور التعبدية فلم يعظم ما يعظمون من تماثيلَ وأعيادٍ؛ وأن القرآن الكريم كان جديدًا في أسلوبه، وأخباره، وقضاياه، ولم يكن امتدادًا لشيء مما كتبه أهل الأرض جميعهم. وفي المبحث الثاني عالجت الدراسة عددًا من الشبهات تتمحور حول ادعاء أن البعثة كانت إفرازًا لسياقٍ متصل في البيئة العربية قبل الإسلام، وكذلك ادعاء أنها كانت أثرًا من آثار عظمة شخصية النبي ﷺ، والانتهاء إلى بيان أنها وحي من الله لإصلاح ما أفسد الناس.

الكلمات المفتاحية: فجائية الدعوة، أمية النبي، الشبهات، البيئة، العبقريات، ديورانت، الاستشراق.

Contemporaries' suspicions in light of the suddenness of the Mission in the Holy Qur'an

Enas Galal Mahmoud Al-Qassas
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, College of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University,
Cairo, Arab Republic of Egypt.
E. mail: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

Abstract

By clarifying one of the topics of the Holy Qur'an, which is the subject of the suddenness of the call and that it was not preceded by human preparation،The study attempts to address the suspicions of skeptical contemporaries about the mission of the Prophet Muhammad.ﷺ The study was divided into two sections, the first section was devoted to explaining the "suddenness of the call" in the sense that the Prophet, peace be upon him, was not subjected to a ground preparation carried out by his contemporaries ،And that is through a statement that the Prophet, peace be upon him, was illiterate, did not read in newspapers and did not write newspapers with his honorable hand. And that he was in opposition to his contemporaries since childhood, especially with regard to matters of worship, so he did not venerate what they venerate of statues and festivals; And that the Noble Qur'an was new in its style, news, and issues .It was not an extension of anything written by all the people of the earth. In the second topic, the study dealt with a number of suspicions centered around the claim that the mission was the outgrowth of a connected context in the pre-Islamic Arab environment. Likewise, claiming that it was one of the effects of the greatness of the Prophet's personality ،ﷺ ،and ending with a statement that it is a revelation from God to fix what people have corrupted.

key words: The suddenness of the Mission, the illiteracy of the Prophet, suspicions, the environment, geniuses, Durant, orientalism.

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:

حاول المبطلون التشكيك فى رسالة النبيّ ﷺ، حقدًا وحسدًا، أو تمسكًا بما وجدوا عليه آباءهم، أو رفضًا لما تُحدثه الشريعة من تغيير فى واقع الناس يذهب بسلطانهم ونفوذهم الاجتماعي. وفى القرآن الكريم بيانٌ للمحاور الرئيسية التي انطلق منها المشككون، من ذلك إدعاء بعضهم أنها حالة من السحر أو الجنون، يقول الله تعالى ذكره: (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)[١] ، وإدعاء بعضهم أنها حالة من طلب الجاه والرئاسة في قومه (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٍ يُرَادُ) [٢]، وإدعاء بعضهم أنها حالة من الجهد البشري تلقَّاه محمدﷺ من غيره من البشر، (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) [٣]،(وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٱكتَتَبَهَا فَهِيَ تُملَىٰ عَلَيهِ بُكرَة وَأَصِيلًا)[٤] .

وأورد الله في كتابه الكريم شبهات المخالفين وردّ عليها، ومن ذلك قول الله تعالى: (وَلَقَدۡ نَعلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ)[٥] ؛ وأخبرنا، سبحانه وتعالى ذكره، أن أعداء الرسل في كل زمان ومكان يتحدثون بذات الشبهات، والعلة هي تشابه القلوب، (كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) [٦] ، والعلة هى، أيضًا، تسلط الشياطين على

(١) الذاريات:٥٣
(٢) ص جزء من الآية ٦ .
(٣) المدثر ٥ .
(٤) الفرقان ٥ .
(٥) النحل ١٠٣ .
(٦) البقرة جزء من الآية ١١٨ .

هؤلاء المبطلين، (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) [1].

وتستهدف هذه الدراسة معالجة عددٍ من الشبهات التي انتشرت حديثًا فى كتابات غير المسلمين، بل وبعض المسلمين، وهذا النوع من الشبهات هو ادعاء أن البعثة المحمدية جهد بشري، ظهر بتأثير ضرورات البيئية التي نشأ فيها الرسول ﷺ، أو ظهر نتيجة لصفات شخصية اتصف بها رسول الله ﷺ (العظمة أو العبقرية)، وتتم المعالجة من خلال بيان موضوع "فجائية الدعوة فى القرآن الكريم"، وكيف أن النبيﷺ كان أميًا لم يقرأ فى صحفٍ ولم يكتب صحفًا بيده الشريفة، ولم يعرف بالجلوس لمعلمٍ، وأنه كان مخالفًا لمعاصريه منذ الصبا وخاصة فيما يتعلق بالأمور التعبدية فلم يعظم ما يعظمون من تماثيلَ وأعيادٍ؛ وأن القرآن الكريم كان جديدًا فى أسلوبه، وأخباره، وقضاياه، ولم يكن امتدادًا لشيء مما كتبه أهل الأرض جميعهم. ثم فى ضوء "فجائية الدعوة" تعرض الدراسة شبهات المخالفين وتناقشها لبيان أنهم يتحدثون بمثل ما تحدث به من قبلهم فى مكة حين بعث النبي ﷺ وأن أفضل ردٍ عليهم هو مواجهتهم بما بين الله فى كتابه العظيم.

أهداف الدراسة:

تحاول الدراسة بيان عددٍ من الأمور، من أهمها:

١. إظهار فجائية الدعوة فى القرآن الكريم.

٢. القاء الضوء على أهم الكتابات المعاصرة التى تشكك فى البعثة المحمدية بادعاء أنها جهد بشري.

٣. بيان أن البعثة المحمدية لم تكن نتاج البيئة والعوامل الوراثية.

٤. بيان كيف عالج القرآن الكريم الادعاء بأن البعثة تطور طبعي للبيئة التى عاش فيها الرسول ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم.

(١) الأنعام ١٢١ .

أهمية البحث:

تحاول الدراسة المساهمة فى الجهد البحثى الذى يستهدف رد الشبهات المعاصرة التى تثار حول الدين وسيد المرسلينﷺ وذلك من خلال:

١. المساهمة فى حقل التفسير الموضوعي، وذلك بتقديم بحث عن موضوع جديد، وهو "فجائية الدعوة فى القرآن الكريم".

٢. بيان المسالك الخفية للشبهات التى تحاول نفى الرسالة عن شخص رسول اللهﷺ، وترتدي ثوب المديح للنبي ﷺ.

٣. بيان تضخم فكرة تأثير البيئة والعوامل الوراثية فى صياغة الإنسان.

٤. بيان أن الوحي له الأثر الأكبر فى معالجة انحرافات الناس العقدية والسلوكية.

٥. بيان كيف عالج الله العليم الخبير هذا الكم من الانحراف فى التفكير فى كتابه القرآن الكريم.

منهجية البحث:

حاولتُ الدمج بين منهجين، أولهما: التفسير الموضوعي، وذلك بتتبع موضوع "فجائية الدعوة فى القرآن الكريم" والذى يظهر أنه الأنسب لمعالجة كثير من الشبهات المنتشرة فى الساحة المعرفية اليوم. وثانيهما: منهج الاستقراء لنوعية معينة من شبهات المخالفين، تلك التى تدعي أن البعثة المحمدية ظهرت نتيجة لتأثير العامل الوراثي والبيئة التى نشأ فيها الرسول ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم، والرد عليها فى ضوء "فجائية الدعوة في القرآن الكريم".

وقدمتُ عرض الموضوع (فجائية الدعوة) على عرض الشبهات من باب ترسيخ الحق أولًا ثم عرض الباطل فى سياق بيان الحق.

خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

تشمل المقدمة بيان سياق كتابة البحث، متبوعًا بالأسئلة التى يثيرها، والأهمية التى ينطلق منها، بالإضافة إلى المنهجية التى يتبعها فى الإجابة عن أسئلته. ومن خلال مبحثين على النحو التالى :

المبحث الأول: فجائية الدعوة كأحد مواضيع القرآن الكريم.

المطلب الأول: أمية النبي ﷺ.

المطلب الثاني: مخالفة النبي ﷺ لبيئته.

المطلب الثالث: القرآن الكريم أخبار، وأسلوب، وقضايا.

المبحث الثاني: شبهات المخالفين ومناقشتها في ضوء "فجائية الدعوة".

المطلب الأول: أقوال غير المسلمين.

المطلب الثاني: أقوال المنتسبين للإسلام.

المطلب الثالث: كيف تكونت الشبهات.

وفى الخاتمة ملخص لنقاط الدراسة الرئيسية، وأهم النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول

فجائية الدعوة كأحد مواضيع القرآن الكريم

من أهم المواضيع التى تجلت فى القرآن الكريم موضوع "فجائية الدعوة". أو بيان أن النبي ﷺ لم يتعرض، قبل البعثة، لإعداد معرفي من البيئة المحيطة به، فلم يُعرف عنه ﷺ أنه تتلمذ على يد معاصريه، أو أنه قرأ فى صحف السابقين له، أو برز فى فن من الفنون المعرفية التى انتشرت فى بيئته كالشعر والخطابة. إذ أنه ﷺ عُرِفَ بصفاتٍ خلقية حميدة كالصدق والأمانة، وكان متبعًا للوحي فى شأنه كله. وكذلك صحابته رضوان الله عليهم، إذ أنه لا يعرف عن الخلفاء الراشدين أنهم ساسوا الناس بتعاليم شرقية أو غربية، وإنما اقتصر إعدادهم على ما تلقوه من الوحيين (الكتاب والسنة). وفي هذا المبحث محاولة لرصد المحاور الرئيسية التي من خلالها يتبين "فجائية الدعوة" كأحد مواضيع القرآن الكريم، وذلك من خلال ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: أمية النبي ﷺ.

المطلب الثاني: مخالفة الرسول ﷺ لبيئته .

المطلب الثالث: القرآن الكريم أخبار، وأسلوب، وقضايا.

المطلب الأول

أُمِّية النبي، ﷺ

ورد الحديث عن أمية النبيﷺ فى أكثر من موضع من كتاب الله؛ وفى بعض الآيات إثباتٌ لصفة الأمية للنبيﷺ؛ وفى بعضها احتجاج على المكذبين الضالين بأمية النبيﷺ وأنه لم يتلق علمًا من غيره، لا من خلال المدارسة مع شخصٍ، ولا من خلال المطالعة فى صحف السابقين أو المعاصرين لهﷺ؛ وفى آيات أخر تكذيب للذين ادعو أنهﷺ تعلم من غيره.

ومن الآيات التى أثبتت أمية النبيﷺ قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾[١] ، وقول الله تعالى: (فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ) [٢] .

والأمي هو الذى لا يقرأ ولا يكتب. على جِبِلَّتِه. بمعنى أنه منسوب إلى ما عليه ولدته أُمُّهُ، وذلك لأن الكتابة مكتسبة[٣].

وقيل للعرب الأُمِّيُّون لأَن الكِتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، يقول الله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ)[٤] .

وفى الحديث: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب"[٥].

---

(١) الأعراف جزء من الآية ١٥ .
(٢) الأعراف جزء من الآية ١٥٨ .
(٣) ينظر : " **لسان العرب** " ، لجمال الدين ابن منظور، (بيروت، دار الصادر،١٤١٤ه)، ج١٢، ص٣٤.
(٤) الجمعة جزء من الآية ٢ .
(٥) ينظر : " **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه** " ، لمحمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت، دار ابن كثير، اليمامة،١٤٠٧هـ/ ١٩٩٨٧م)، كتاب الصوم، باب "قول النبي ﷺ،" لا نكتب ولا نحسب"، ج٢، ص٦٧٥.

وفى الحديث، أيضًا: "إنى بعثت إلى أمةٍ أُمِّيِّينَ"[١]. فالنبي ﷺ كان أميًا لا يكتب[٢].

ومن الآيات التى تثبت أمية النبيﷺ قوله تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) [٣] وقد ذكر العلماء أثناء شرح الآية الكريمة حديث بدء الوحي، وفيه أن النبي ﷺ حين طلب منه جبريل، عليه السلام، القراءة أجاب بأنه لا يقرأ (فقالَ: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّنِي الثالثة ثم أرسلني، فقال: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ"[٤]، فلم يكن النبي ﷺ يقرأ قبل نزول الوحي عليه. وليس فيه دليل على أنه تعلم القراءة من الصحف بعد نزول الوحي، يقول ابن عاشور: "والقراءة نطق بكلام معين مكتوب أو محفوظ على ظهر قلب"[٥]، وهو حال النبي ﷺ فلم يعرف عنه ﷺ أنه قرأ من صحف على أصحابه بعد البعثة، بل كان يقرأ عليهم مما يمليه أمين الوحي جبريل، عليه السلام، على قلبه الشريف.

واحتجَّت بعض الآيات على المكذبين الضالين بأمية النبيﷺ مثل قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتلُواْ مِن قَبلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ)[٦] ، والمعنى، كما جاء فى تفسير البغوي، "وما كنت تتلو يا محمد من قبله من كتاب، يعنى من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب، ولا تخطه بيمينك، يعني ولا تكتبه، يعني لم تكن

---

(١) **ينظر : " سنن الترمذي "** ، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ)، أبواب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج٥، ص١٩٤. والحديث حسن صحيح .

(٢) **ينظر : " جامع البيان فى تأويل القرآن "** ، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١٣، ص١٥٧، ١٦١.

(٣) العلق الآية ١.

(٤) ينظر : " **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه** " ، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب "أول ما بدئ به رسول اللهﷺ من الوحي الرؤيا"، ج٦، ص٢٥٦١.

(٥) ينظر : " **التحرير والتنوير** " ، لمحمد الطاهر بن عاشور، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠/٢٠٠٠)، ج٣٠، ٣٨٤.

(٦) العنكبوت ٤٨ .

تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، إذا لارتاب المبطلون، يعنى لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة"[١].

وبهذا فإن الأمية فى حقه ﷺ صفة كمال وإعجاز، لا صفة نقص، يقول الإمام الرازي: "فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون، والنبي عليه الصلاة والسلام، كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميًّا، قال أهل التحقيق: وكونه أميًّا بهذا التفسير كان من جملة معجزاته، وبيانه من وجوه:

الأول: أنه ﷺ كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظومًا مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه، ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، فإنه لا بد أن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب، كان يقرأ يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير، فكان ذلك من المعجزات وإليه الإشارة بقوله تعالى :(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) [٢] .

والثانى: أنه لو كان يحسن الخط والقراءة، لصار متهمًّا فى أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصّل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات، وهذا هو المراد من قوله: وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون[٣] .

الثالث: أن تعلم الخط شيء سهل فإن أقلَّ الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعي، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم، ثم إنه تعالى آتاه علوم

---

(١) ينظر : " **معالم التنزيل فى تفسير القرآن** " ، لحسين بن مسعود البغوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠)، ج٣، ص ٥٦٣.
(٢) الأعلى ٦ .
(٣) العنكبوت ٤٨ .

الأولين والآخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة فى العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلًا وفهمًا، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جاريًا مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات"[١] .

وقال الطاهر ابن عاشور: "هذا استدلال بصفة الأمية المعروف بها الرسول ﷺ ودلالتها على أنه موحى إليه من الله أعظم دلالة، وقد ورد الاستدلال بها فى القرآن فى مواضع؛ كقوله :(مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) [٢] ، وقوله :(فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [٣] . ومعنى: ما كنت تتلو من قبله من كتاب أنك لم تكن تقرأ كتابًا، حتى يقول أحد: هذا القرآن الذى جاء به هو مما كان يتلوه من قبلُ، ولا تخطه أي لا تكتب كتابًا ولو كنت لا تتلوه، فالمقصود نفي حالتي التعلم، وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة استقصاءً فى تحقيق وصف الأمية، فإن الذي يحفظ كتابًا، ولا يعرف يكتب لا يعد أميًّا كالعلماء العمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يلقى إليه، ولا يحفظ علمًا لا يعد أميًّا مثل النساخ، فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية"[٤].

وفى بعض الآيات جاء ذكر ما ردده الضالون المكذبون، من أنهﷺ تعلم على يد أقرانه، أو أنه ﷺ كتب صحف الأولين ويقرأ منها. وفى الآيات إثبات أنهم تحدثوا بالكذب البين، بمعنى أنهم، فقط، يحاولون نفي الرسالة عن رسول اللهﷺ وإنْ بالكذب الصريح، يقول الله تعالى: (وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي

(١) ينظر : " **مفاتيح الغيب** " ، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج١٥، ص٣٨٠.
(٢) الشورى ٥٢ .
(٤) يونس ١٦ .
(٤) ينظر : " **التحرير والتنوير** " ، لمحمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٠، ص١٨٥.

يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مُّبِينٌ) [١] ومثله قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَستَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوم يَعلَمُونَ) [٢] فلوجود غلام نصراني يجلس على "المروة" ويمر به النبي ﷺ حال سعيه بين الصفا والمروة أو حال مجيئه وذهابه، وهذا الغلام يقرأ بلسان قومه، وليس باللسان العربي، من صحف خاصة به[٣] ادّعوا أن النبيﷺ يجلس إليه ويتعلم منه، فاحتج عليهم القرآن بأنه أعجمي وهذا لسان عربي مبين[٤]، وفى هذا إخبار "عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: أن محمدا إنما يعلمه هذا الذى يتلوه علينا من القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعا يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه؛ فلهذا قال الله تعالى رادا عليهم فى افترائهم ذلك: {لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} يعني: القرآن أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، فى فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، التى هى أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي أرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل"[٥].

وفى هذا بيان أنها حالة من الرفض تتعلل بأي حجة وإن كان الكذب شديد الوضوح فيها، ومثله قوله تعالى: (وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٱكتَتَبَهَا فَهِيَ تُملَىٰ عَلَيهِ بُكرَة

(١) النحل ١٠٣ .
(٢) الأنعام ١٠٥ .
(٣) ينظر : " **أسباب النزول** " ، لعلي بن أحمد الواحدي، ، (الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٥هـ/١٩٩٢م)، ص٣٨١.
(٤) ينظر :"**جامع البيان في تأويل القرآن** "، لمحمد بن جرير الطبرى، مرجع سابق، ج١٢، ص٢٦، ج١٧، ص٢٩٨، ٢٩٩.
(٥) ينظر : " **تفسير القرآن العظيم** " ، لإسماعيل بن عمر بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٤، ص٦٠٣.

وَأَصِيلا)[١] يقول ابن كثير فى تفسيره للآية الكريمة: " وهذا الكلام، لسخافته وكذبه وبهته منهم، كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله لم يكن يعانى شيئًا من الكتابة، لا في أول عمره ولا فى آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه فى صغره إلى أن بعث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره"[٢] .

وفي بعض الآيات إثبات لفجائية الدعوة، وذلك ببيان أن النبيﷺ مكث فيهم عمرًا قبل البعثة ولم يحدثهم، أو يدعهم إلى شيء مما حدثهم به ودعاهم إليه بعد البعثة، يقول الله تعالى: (قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [٣] ، والمعنى: " أني لو كنت منتحلا ما ليس لي من القول، كنت قد انتحلته في أيّام شبابي وحَداثتي"[٤].

والمعنى، كما عند الزجاج،: "قد لبثت فيكم من قبل أن يوحى إلي لا أتلو كتابا ولا أخطه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إلي؛ إذ كنتم تعرفونني بينكم، نشأت لا أقرأ كتابا، وإخباري إياكم أقاصيص الأولين من غير كتاب ولا تلقين يدل على أن ما أتيت به من عند الله وحي"[٥].

ولذا احتج الله على المكذبين الضالين بصحبة النبيﷺ لهم، يقول الله تعالى: (قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ

(١) الفرقان ٥ .
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص٩٤.
(٣) يونس ١٦ .
(٤) **ينظر : "جامع البيان فى تأويل القرآن "** ، لمحمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٥، ص٤١.
(٥) ينظر :" **معانى القرآن وإعرابه"** ،لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج،(بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٣، ص١١.

إِن هُوَ إِلَّا نَذِير لَّكُم بَينَ يَدَي عَذَاب شَدِيد) [١] ، ويقول الله تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَىٰ)[٢] ، ويقول الله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجنُون)[٣]

والتعبير بلفظ الصاحب "للتّذكير بأنهم يعرفون سيرته معرفة كاملة فى سنّ الصّبا وعهد الشّباب والكهولة وبعد النّبوة"[٤].

(١) سبأ ٤٦ .
(٢) النجم ٢ .
(٣) التكوير ٢٢ .
(٤) ينظر : **"التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج "**، لوهبة مصطفى الزحيلى، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٩، ص١٨٣.

المطلب الثاني
مخالفة الرسول ﷺ لبيئته

المقصود بيانه فى هذا المطلب هو: عدم وجود تكوين معرفي مصدره البيئة التى عاش فيها الرسولﷺ انتهى (هذا التكوين المعرفي) بالرسالة، بمعنى أن شخص النبيﷺ لم يتعرض لتكوين معرفي من البيئة التى عاش فيها، سواءً البيئة الصغرى (قريش، أو مكة) أو البيئة الكبرى (الجزيرة العربية)، بل كان شيئًا جديدًا مخالفًا لما كانت عليه قريش ولما كان عليه عامة الناس فى زمانه. وبيان ذلك من وجوه، أهمها: اعتزاله ما كانوا عليه من الكفر والفسوق، ومخالفته لهم فى النسك، وتعرضه لعناية ربانية منذ الصغر، وتميزه الشديد عنهم فيما تعارف عليه الناس من مكارم الأخلاق (كالصدق والأمانة) حال تجارته ومعيشته بينهم قبل البعثة.

أولًا: اعتزاله ما كانوا عليه من الكفر والفسوق.

لم يكنﷺ يشرب الخمر مع شيوع ذلك فى قومه شيوعًا عظيمًا، ولم يكن يحضر مجالس اللهو؛ ولم يكنﷺ يشارك قريشًا فى شيء من شركها، ومن شواهد ذلك ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: "أي خديجة، والله لا أعبد اللات، والله لا أعبد العزى أبدًا، فتقول خديجة: خل اللات، خل العزى، قال: كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون" " [1].

و" جاء فى قصة بحيرا الراهب أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام فى سفره مع عمه أبى طالب وهو صبى، لما رأى فيه علامات النبوة، فقال بحيرا للنبي ﷺ : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما

(١) ينظر : **"مسند الإمام أحمد بن حنبل "** ،لأحمد بن محمد بن حنبل، ، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٢٩، ص٤٦٧. إسناده صحيح ، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير جار خديجة ، فلم يرو له غير المصنف هذا الحديث الواحد، وهو صحابي، وجهالته لا تضر.

قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فقال له النبي، ﷺ،:" لا تسألني باللات والعزى شيئًا ، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط"[١]. ولم يكن ﷺ يأكل ما ذُبح على النُصُب[٢]، فقد كان ﷺ محفوظًا من كل شوائب الجاهلية، وحديث شق صدره الشريف وإخراج علقة الشيطان منه مشهور[٣]، وحفظه من التعري حال صبا[٤]، وحفظه من سماع اللهو والغناء[٥].

ثانيًا: مخالفته لهم فى النسك[٦]

ومن شواهد ذلك أن العرب كانوا يقفون بعرفة وقريشًا ومن دان بدينها من الحُمس كانوا يقفون بالمزدلفة، يقولون: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، فكان النبي ﷺ يقف بعرفه مع الناس، وكان ينفر من عرفة بعد الغروب لا قبله كما كان يفعل

(١) ينظر : " **السيرة النبوية لابن هشام** "، لعبد الملك بن هشام،(القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ص١٨٢.

(٢) أورد الدكتور "جواد علي" تحقيقًا موسعًا عن معنى النصب، ذكر فيه أقوال أهل اللغة وأهل التفسير وما أورده الإخباريون عن النصب فى الجاهلية، وخلاصته أن النصب عبارة عن منصة أو بناء مرتفع قليلًا بجوار الصنم أو البيت، تذبح عليه القرابين ويعلوه من يقف خطيبًا يعظ الناس ويحرضهم على التقرب والعبادة. ينظر: "**المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام** "، لجواد علي، (العراق، جامعة بغداد، ١٤١٣، ١٩٩٣م)، ج٦، ص ٤١٩-٤٢٢. وينظر:" **فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني ، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج٧، ص١٤٣، ١٤٤. وبنظر: " **رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة** "، لعماد السيد الشربينى، (القاهرة، مطابع دار الصحيفة، ٢٠٠٣)، ص ص ٧٩، ٨٠. وفيه إيراد وتوضيح لما أشكل في حديث زيد بن عمرو بن نفيل حين التقى الرسولﷺ وزيد بن حارثة ومعهما شاة ذبحت على نصب، وليس ذبحت من أجل صنم.

(٣) **ينظر : " دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** "، لأحمد بن الحسين البيهقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥هـ)، ج٢، ص٥.

(٤) **ينظر : "الجامع الصحيح المختصر"**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج٢، ص ٥٧٣.

(٥) ينظر : " **الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان** "، لمحمد بن حبان،(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، باب بدء الخلق: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبيﷺ كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه"، ج١٤، ص١٦٩.

(٦) للوقوف على تفصيل ما كانت عليه العرب فى النسك ، ينظر: "مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ"، لأحمد إبراهيم الشريف (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١٥١-١٨٤.

أهل الجاهلية، وكان ينفر من مزدلفة (في اليوم التالي) قبيل الشروق لا بعده، وهذا من هداية الله له[١]. وحبب الله إليه الخلاء فى غار حراء وحيدًا لا مشاركًا لأحدٍ من قومه ولا مهتديًا بأحدٍ من قومه[٢] .

ثالثًا: تميزه الشديد عنهم فيما تعارف عليه الناس من مكارم الأخلاق

فقد عرف ﷺ بالصدق، ومشهور قولهم لهﷺ حين صعد الصفا وجعل ينادي عليهم حتى اجتمعوا إليه: "ما جربنا عليك كذبًا"[٣] ، وكذلك عرف بينهم بالأمانة، حتى أنهم كانوا يسمونه بالأمين، وقد ورد ذلك فى ذكر اختلافهم فيمن يضع الحجر الأسود بعد اكتمال بناء الكعبة[٤].

يقول ابن هشام فى السيرة" .. فشب رسول الله . ﷺ . والله تعالى يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أنْ كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا ، وأكرمهم حسبًا ، وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم حلمًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، حتى سمى فى قومه الأمين ؛ لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة"[٥] .

---

(١) ينظر : " **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ"** ، لمسلم بن الحجاج،(بيروت، دار الجيل،د.ت)، ج٤، ص٤٣؛ وينظر: " **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج "** ، لأبى زكريا محي الدين يحى بن شرف النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ج٨، ص١٩٧.

(٢) **ينظر : " الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه "** ، لمحمد بن إسماعيل البخارى، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١، ص٤.

(٣) **ينظر : " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "**، لمسلم بن الحجاج، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب فى قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين"، ج١، ص١٩٣.

(٤) **ينظر : " المستدرك على الصحيحين "** ، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ج١، ص٦٢٨.

(٥) **ينظر : " السيرة النبوية "** ، لعبد الملك بن هشام، مرجع سابق، ص ١٨٣.

المطلب الثالث

القرآن الكريم أخبار، وأسلوب، وقضايا

بعد بيان أن النبي ﷺ لم يتعلم على يد أحدٍ من معاصريه، ولم يكن يقرأ فى صحف الأولين، وأنه ﷺ لم يكن نتاج بيئته من الناحية التربوية والمعرفية، بل تعرض لعناية وإعداد رباني، تتجه الدراسة لبيان أن الرسالة التي جاء بها رسول اللهﷺ والمتمثلة فى الوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) كانت جديدة، ولم تكن تطويرًا لواقع ثقافي، سلوكي أو معرفي، بمعنى أن الرسالة لم تكن إجابة على أسئلة يطرحها مثقفون فى بيئة الرسولﷺ أو لم تكن تطويرًا لقضايا شغلت بها النخبة فى مجتمع الجاهلية، وإنما كانت شيئًا جديدًا مفاجئًا لما كانت عليه قريش والعرب قبل الإسلام، وذلك من خلال نقاط محددة، على النحو التالى :

١. لم تعرف قريش ولا العرب التأليف والكتابة، فلم يكن بأيديهم كتابًا يتعاملون معه كمصدر للقيم والضوابط (التشريعات) الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، يقول الله تعالى: (وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُب يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِير)[١] ، ويقول الله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوما مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِير مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ) [٢] ، ويقول الله تعالى: (أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوما مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِير مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ) [٣] . فالنبيﷺ فاجأ قريشًا والعرب بكتابٍ يتلوه عليهم[٤] (قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [٥] ، بمعنى أن فكرة إيجاد كتاب لم تكن من بنات أفكار البيئة التى عاش

(١) سبأ ٤٤ .
(٢) القصص جزء من ٤٦ .
(٣) السجدة ٣ .
(٤) فهو قرآن كونه متلوًا بالألسن وكتاب كونه مدونًا بالأقلام، ينظر: " **النبأ العظيم** "، لمحمد عبد الله دراز،(القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٥.
(٥) يونس ١٦ .

فيها النبيﷺ وخاصة من شخصٍ أمي لم يُعرف بكتابة أو قراءة أو لوازمهما كالخطابة والوعظ.

٢. الإخبار عن غيبٍ لا يعرفه هوﷺ ولا يعرفه أحد من قومه، وهذاقول الله تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاء ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [١] ؛ ولم يدَّعِ النبيﷺ العلم بالغيب (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعلَمُ ٱلْغَيبَ)[٢] ، (وَلَوْ كُنتُ أَعلَمُ ٱلْغَيبَ لَٱستَكثَرتُ مِنَ ٱلْخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ)[٣] والإنباء عن الغيب، وكذلك عامة معاني القرآن الكريم، ليس مما يُدرك بالذكاء وصدق الفراسة، وإنما يؤخذ بالتلقي، وعن علام الغيوب وحده، سبحانه وتعالى وعز وجل [٤] ولذا يكثر فى القرآن الكريم التنبيه على أن الإخبار عن الغيب من الله وحده وأن النبيﷺ لم يكن له علم بحال من سبقوا أمارةً على أنه مرسل من عند الله الذى يعلم الغيب وعلّمه إياه، قال تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاء ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) [٥]، وقال تعالى: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إِذْ أَجمَعُوٓاْ أَمرَهُمْ وَهُمْ يَمكُرُونَ) [٦]، وقال تعالى: (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَينَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ) [٧]، وقال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) [٨] ، فالإخبار عن الغيب من أكبر الأمارات على أن ما جاء به النبيﷺ من عند الله..علام الغيوب، سبحانه وعز وجل، قال تعالى: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ

(١) هود ٤٩ .
(٢) الأنعام جزء من الآية ٥٠ .
(٣) الأعراف ١٨٨ .
(٤) ينظر: **" النبأ العظيم "**، لمحمد عبد الله دراز، مرجع سابق، ص ٣٩.
(٥) آل عمران ٤٤ .
(٦) يوسف ١٠٣ .
(٧) القصص ٤٤ .
(٨) القصص ٤٦ .

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)[١]، وقال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)[٢] ، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) [٣]، وقال تعالى(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) [٤]، وهذا لا يأتى من تعلم وتطور ثقافي، وإنما جاء فجأة، واتخذ أمارة على أنه رسول من عند الله، وليس صنعة بيئة أو نتاج عوامل وراثية.

٣. اتخذ القرآن فى ترتيبه ونظمه شيئًا جديدًا لم تعهده قريش والعرب، وهو "السور" و "الآيات"، ولم يكن هذا الأمر معروفًا عندهم.

٤. جاءت الرسالة بتصور جديد (منظور) عن الكون وما فيه، فقد جاء فى القرآن والسنة النبوية إجابة على أسئلة لم تكن مطروحة فى بيئة العرب، وهى الأسئلة التى تتعلق بالخالق سبحانه وتعالى، والمخلوقين (الثقلين، والأرض والسموات)، وحال السابقين، وما بعد الموت من ثوابٍ لمن آمن وعقاب لمن كفر أو فسق.

٥. أتى بتشريعات جديدة، فى التعبد، والمعاملات المالية (التجارة/ الاقتصاد)، وفى البعد الاجتماعي للحياة، فغير من نظرة وسلوك الناس تجاه بعضهم بعضًا، وبالتالى غير عادات الجاهلية كتعظيم الآباء ووأد البنات وإهمال المرأة.

٦. وأقوى الأمور التى تتعلق بالقرآن الكريم هو إعلان التحدي للمشركين (وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ

(١) النمل ٦٥ .
(٢) الأنعام جزء من الآية ٥٩ .
(٣) آل عمران جزء من الآية ١٧٩ .
(٤) الجن ٢٦ ، ٢٧ .

ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [1]، ولم يفعلوا، فكيف يقال أن الوحي نتاج البيئة أو نتاج شخص أيًا كانت إمكاناته.

والمقصود أننا حين ننظر لمحتوى الدعوة الإسلامية التى جاء بها محمدﷺ نجد أنها لم تتفاعل مع أسئلة مطروحة في البيئة التي بعث فيها رسول الله بل أثارت قضايا جديدة: عن الخالق سبحانه وعز وجل، وعن الخلق، وماذا يراد منهم وماذا ينتظرهم إن آمنوا أو كفروا. ونستطيع أن نقول مثل هذا مع الصحابة، رضوان الله عليهم، أولئك الذين وحدوا الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وكسروا كسرى وأرغموا قيصر على ترك الشام وشمال أفريقيا ثم حاصروا عاصمته (القسطنطينية)، ولم يتصلوا بغيرهم، ولم يطوروا شيئًا من علوم الأرض، وإنما نبتوا من نص مسموع ومقروء (كتاب وسنة) منزلٍ من عند الله دون سابق مقدمات تذكر فى البيئة التى عاشوا فيها.

(١) البقرة ٢٣ .

المبحث الثاني

شبهات المخالفين ومناقشتها في ضوء "فجائية الدعوة"

باستقراء شبهات المعترضين على بعثة النبيّ ﷺ نجد أن كثيرًا منها يتمحور حول مفهوم أساسى وهو ادعاء أن البعثة المحمدية نتاج البيئة التي نشأ فيها رسول الله ﷺ وليست وحيًا من الله، إما بعوامل وراثية تتعلق بشخص الرسول ﷺ أو تفاعلات اجتماعية سبقت البعثة ومهدت لها.

وظهر هذا الادعاء الكاذب فى ثلاثة مستويات، أولها: فى أطروحات المستشرقين والمنصرين (المبشرين)، وثانيها: فى أطروحات قلة من المنتسبين للإسلام وافقوا المستشرقين ونقلوا عنهم، وثالثها: فى أطروحات بعضٍ ممن حاولوا تعظيم شخص رسول الله، ﷺ. ومن خلال هذه المستويات الثلاثة ظهرت مقولتين فى تفسير السيرة النبوية، وهما: مقولة: الإمكانات الذاتية أو البحث عن الذات، ومقولة: تأثير البيئة. وتحاول الدراسة عرض شبهات المخالفين من المسلمين وغير المسلمين ومعالجة مقولاتهم التفسيرية فى ضوء فجائية الدعوة كأحد مواضيع القرآن الكريم. وقد اتخذت الدراسة هذا المدخل لبيان أن الشبهات التى رددها المشركون الأوائل، أولئك الذين وقفوا في وجه رسول الل هﷺ هى التى تتردد إلى اليوم على لسان المخالفين من الكافرين أو من المنتسبين للإسلام، وأن الرد عليهم بالقرآن الكريم، تمامًا كما تم الرد عليهم أول مرة، وتم تقسيم المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: أقوال غير المسلمين.

المطلب الثاني: أقوال المنتسبين للإسلام.

المطلب الثالث: كيف تكونت الشبهات.

المطلب الأول

أقوال غير المسلمين

تتجه الدراسة، فى هذا المطلب، لمعالجة نوعين من الأطروحات التي ذاع صيتها من أقوال غير المسلمين، أحدها يأخذ شكل أكاديمي وهو أطروحة "ويليام جيمس ديورانت" (William James Durant) فى كتابه الشهير "قصة الحضارة"[1]، والثانى يأخذ شكل تبشيري (تنصيري) تحريضي، وهو أطروحة القمص زكريا بطرس، وتُفصِّل الدراسة فى الأول (ديورانت) لأنه: من ناحية، أكاديمي، ومن ناحية أخرى لأن الشبهات متشابهة، فما عند زكريا بطرس هو نفسه، أو يكاد، الذي عند ديورانت وإن اختلافا في الأسلوب.

أولًا: ويليام جيمس ديورانت William James Durant.

أُخِذَ "ويليام ديورانت" بشخص الرسولﷺ كما كلُّ الذين مروا على سيرته العطرة ﷺ، واكتسى حديثه ثوب المدح والثناء. وبإمعان النظر فيما كتب ديورانت، ومحاولة رسم خريطة ذهنية لما قدَّم، نجد، بوضوح، أن أطروحته تنطوى على فكرة رئيسية مدعومة بعددٍ من الأفكار الفرعية وأنه لم يخرج عما قاله المشركون الذين واجهوا البعثة المحمدية!

والفكرة الرئيسية هى تقديم النبي ﷺ على أنه شخص عظيم ذو إمكانات ذاتية عالية تألم لحال قومه وسعى إلى النهوض بهم واستخدم الدين وسيلةً لذلك، بمعنى أنه حاول تأطير البعثة فى هيئة نشاط ذاتى لشخص الرسول ﷺ وأن فكرة تجميع العرب على أساس الدين كانت أحد الأدوات التى ابتكرها النبي ﷺ لتحقيق النهوض بالعرب. يقول "ديورانت": "وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى

(١) ينظر: " **قصة الحضارة** " ، وِل وَايريْل ديورانت، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٦- ص٤١.

الناس قلنا إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارةُ الجو وجدب الصحراء، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله، وقلَّ أن نجد إنسانًا غيره حقق كل ما كان يحلم به. وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين"، ثم يقول: "وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلًا واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة القومية"[١]. ينزع الرسالة عن النبي ﷺ ويحاول أن يضع شخص رسول الله ﷺ في إطار العظمة الفردية، يدعى أنه ﷺ انطلق من بواعث ذاتية واتخذ الدين وسيلة للوصول إلى أهدافه!!

ولو أن النبي ﷺ انطلق من دوافع خاصة بحثًا عن ذاته أو تألمًا لحال قومه لظهرت عليه أمارات البحث عن الذات فى مرحلة الشباب المبكر، (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٢] . كما أن النبي ﷺ لم يدع قط إلى قومية عربية، بل دعاهم لعبادة الله، ولم يعرف نفسه إلا كرسولٍ من عند الله، وهو ما تجاهله "ديورانت" تمامًا، مع أنه شديد الوضوح فى القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: (أَلَّا تَعبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنهُ نَذِير وَبَشِير وَأَنِ ٱستَغفِرُواْ رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَل مُّسَمّى وَيُؤتِ كُلَّ ذِي فَضل فَضلَهُۥ وَإِن تَوَلَّواْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَوم كَبِيرٍ إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُم وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِيرٌ)[٣].

واتخذ "ديورانت" عددًا من الأفكار الفرعية من أجل إثبات ادعائه، مثل:

١. ادعاء أن النبي ﷺ تعلم من غيره، تمامًا كما ادعت قريش؛ يقول: رحل إلى الشام عدة مرات، مع عمه ثم منفردًا، وتردد على المدينة قبل البعثة عدة مرات،

(١) المرجع السابق، ص٤٧.
(٢) يونس جزء من الآية ١٦ .
(٣) هود ٢ ــ ٤ .

وصاحب أحد أحبار النصارى في مكة (ورقة بن نوفل)، وأنه **ربما** التقى اليهود والنصارى وتعلم منهم ومن ورقة بن نوفل. يقول بما قال به مشركوا قريش من قبل، (كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّثلَ قَولِهِم تَشَٰبَهَت قُلُوبُهُم) .[1]

وكلامه غير صحيح ويُرد عليه بما سبق في المبحث الأول، من أن الرسولﷺ لم يفارق قريشًا في رحلتيه إلى الشام وكان ذلك قبل مبعثه بسنين عددا، ولم يخالط غيرهم من يهودٍ أو نصارى، ولم يدخل المدينة قبل الهجرة إلا طفلًا صحبة أمه، ولم يكن يَعرف الطريق إليها ولذا اتخذ دليلًا يوم الهجرة. ولم يصاحب ورقة، وإنما ذهب إليه مرةً واحدة، وبعد أن نزل عليه الوحي، باقتراح من زوجه خديجة، رضي الله عنها، لسؤاله عما رأى في غار حراء؛ وحدَّثه ورقة بأنه النبي المنتظر. ﷺ. وتمنى أن لو كان من أنصاره وأتباعه. ولم يُعرف بينهم بقراءة وكتابة، أو مخالطة لمن يقرأ ويكتب، ولم يكن بينهم من يُعلِّم الناس دينًا.. أي دينٍ، كما مرّ في المبحث الأول.

٢. وَصَفَ حال النبي ﷺ حين يأتيه الوحي بما يفهم منه الجنون أو الكهانة، فادعى أن الوحي كان يأتي النبيﷺ فى المنام، ويصاحبه صرعًا أو ما يشبه الصرع، وهذا كذب صريح جملةً وتفصيلًا، فالوحي بالقرآن لم يأت فى المنام، وإنما كان جبريل يأتيه ويتلو عليه بصوتٍ مسموع، وفى صحيح البخاري (وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن)[2]، بمعنى أن نص القرآن الكريم ، فضلًا عن أنه كان يلقى على النبيﷺ، فإنه (أي النص) كان يضبط ويراجع مرة كل عام ومرتين في آخر عام، يقول الله تعالى: (إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرءَانَهُ. فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ) [3] ، بمعنى أن النبيﷺ تلقى القرآن تعلمًا وضبطًا من جبريل، عليه السلام، ولم يكن أضغاث أحلام كما يدعي "ديورانت"؛ وما كان

(١) البقرة جزء من الآية ١١٨ .
(٢) ينظر : " **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه** "، لمحمد بن إسماعيل البخاري مرجع سابق، باب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٤، ص١١٣.
(٣) القيامة ١٧ ـ ١٩ .

يصاحب الوحي هو إجهاد وعرق، كمن يحمل شيئًا ثقيلًا (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)[١]، ولم يكن يصرع كما يصرع المجنون ﷺ.

٣. الادعاء بأن النبيﷺ نشأ في بيت سيادة وشرف واستخدم الدين وسيلة لتوحيد العرب والرياسة فيهم. تمامًا كما قالت قريش (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ)[٢] (أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا)[٣]. ومعلوم أن أول من رفض إجابة الدعوة وآذى النبي وقاتله هم أهله من قريش وفيهم عمه أبو لهب وأبناء عمومته كأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[٤]، ثم من قبائل مضر أبناء عمومة قريش[٥]، ثم من قبائل قيس أبناء عم مضر، ثم باقي العرب؛ ولم يورِّث النبوة ولا الإمامة لأحد بعينه، وعرضوا عليه الملك ليكف عن الدعوة فى بدايتها ولم يوافقهم[٦]؛ وقد كان حاله حال الفقراء من الناس فى مأكله وملبسه ومسكنه-ﷺ-. ولم يُرسل للعرب. بل للناس كافة، ودعى نصارى نجران، وآمن به النجاشي فى الحبشة، وراسل هرقل ونصارى الشام ومصر، وأرسل صحابته فى مؤتة لمن غدر من نصارى الشام، وخرج للروم بشخصه الكريم ﷺ فى تبوك، ودعا اليهود وقاتلهم من أول عامٍ هاجر فيه (قينقاع) ثم (النضير) ثم (قريظة)، وراسل الفرسْ؛ ولم يُعرف الملك فى قريش كلها ولا فيمن حولها من القبائل، وإنما فقط فى أطراف الجزيرة

---

(١) المزمل آية٥.

(٢) ص ٦.

(٣) ينظر : " **جامع البيان فى تأويل القرآن** " ، لمحمد بن جرير الطبرى ، مرجع سابق، ج٢١، ص١٥٢.

(٤) وكان من أشد قريش على النبي ﷺ والصحابة ، ثم أسلم وحسن إسلامه، ينظر: "**سير أعلام النبلاء** "، لشمس الدين الذهبى (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج١، ص٢٠٢-٢٠٥.

(٥) أعني بني سليم وكانت فيهم غزوة قراقرة الكدر بعد غزوة بدر، وغطفان وكانت فيهم عدد من السرايا. ينظر: " **السيرة النبوية " (من البداية والنهاية لابن كثير)**، لإسماعيل بن عمر بن كثير، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥ه/١٩٧٦م)، ج٢، ص٣٥٥.

(٦) **ينظر : " السيرة النبوية "**، لعبد الملك بن هشام مرجع سابق، ج٢، ص١٠١.

(اليمن، والعراق، والشام) وكان مُلكًا مستمرًا لم ينقطع وتابعًا للفرس والروم. وهذا (ديورانت) يقول: كان يطلب ما فقده آباؤه من رياسة وشرف.

٤. سَرَدَ عددًا من المزاعم حاول من خلالها إظهار الدعوة على أنها حالة من الاستعانة بمكر الساسة من أجل إنشاء ملك وتثبيت أركانه، مثل: ادعاء أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على التجار، وآمنوا به لأن ما سمعوه منه كان هو ما سمعوه من اليهود؛ والحديث عن خروج الصحابة من مكة مهاجرين إلى المدينة وكأنه كان هروبًا كما اللصوص، يقول: تخفى الصحابة في هيئة تجار؛ وادعى أن النبي ﷺ هادن يهود ثم انقلب عليهم، كأنه غدر بهم؛ وادعاء أن النبي ﷺ لجأ للغارة على القوافل لتوفير طعام للمسلمين؛ وادعاء أن النبي ﷺ استعطف عدوه بالزواج، ويضرب مثلًا بالسيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان؛ وادعاء أن السبب فى زواج النبي-ﷺ- هو الرغبة فى انجاب الولد، وادعاء أن النبي ﷺ كان يقتل النساء والشعراء. وكل ما ادعاه "ديورانت" غير صحيح. فقد كان يعرض نفسه الشريفة-ﷺ- على القبائل وفى موسم الحج. وستة فقط من الأنصار هم الذين آمنوا بدعوته ولم يكونوا تجارًا بل من الحجيج، وبقية الأنصار آمنوا فى ديارهم بدعوة مصعب بن عمير، رضي الله عنه. وما سمعه الأنصار من اليهود كانت بشارة بظهور نبي لا أن النبي-ﷺ- حدثهم بمثل ما تحدثت به يهود. يحاول ضمنًا أن يؤكد فكرة تعلم النبي-ﷺ- من اليهود، مع أن حال الأنصار فى بيعة العقبة الأولى والثانية وحالهم مع مصعب بن عمير وحال يهود مع النبي ﷺ بعد الهجرة يثبت عكس ما يذهب إليه ديورانت؛ واستحضار التجارة يشي بأن البعثة كانت حول المال (تجارة)، ولم يحدث منه غدرٌ -ﷺ- بل مد يده لهم بسلام وأمان وعاقبهم (قينقاع) حين كشفوا عورة المسلمة، وحين هموا أن يقتلوه غيلة بعد عهدٍ وأمان (النضير)، وحين تواطئوا (قريظة) مع الأحزاب وحاولوا قتل النساء والأطفال. كانت مروءة وحسن جوار، وحزمًا فى التعامل مع الخائنين المتواطئين مع العدو وقت البأس. ولم تكن الغزوات

مصدرَ ربحٍ. فقد كانت سيرة النبي-ﷺ- مع الأسرى هي العفو عنهم والإحسان إليهم حتى عوتب في العفو، وهذا كثير في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)[1]؛ وقوله تعالى: (عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ) [2] إن الملمح الرئيس في غزوات الرسول-ﷺ- هو الرحمة والحرص على هداية الناس، يظهر هذا من وصيته للمقاتلين قبل المعركة بعدم التعرض لمن لم يقاتل، وقلة عدد من قُتل فى الغزوات، ومن التعامل مع الأسرى بعد الحرب، ومن التعامل مع الحكام إن هم أسلموا ولم يقاتلوا، ومن التعامل مع أهل الأرض بعد فتحها. قد كانت هداية للناس ولم تكن تجبرًا وقتلًا وسلبًا. وديورانت يقول: كان يعيش من السلب والنهب. وقد كان تودد النبي-ﷺ- لأصحابه لا لأعدائه، يتزوج من يرفضها غيره، ويصاهر خاصته؛ وأمنا أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت فى الحبشة بعيدة كل البعد عن أبيها ومات زوجها وهى فى الغربة فأرسل إليها يواسيها بأفضل ما تواسى به أرملة؛ وكانت مسلمة تناصب أباها العداء، ورفضت أن تُجلس أباها على وسادةٍ جلس عليها رسول الله-ﷺ- فلم يكن إرضاؤها إرضاء لأبيها أو غيره من الكافرين، كان حماية لمجتمع المسلمين ومواساة للمستضعفين من أصحابه. وقد كان لديه سبعة من الأبناء من زوجته الأولى.. ذكورًا وإناثًا. وقد كان النبي-ﷺ- يُقرّب الشعراء ويستحثهم على قول الشعر، ويستدعى الجيد من شعر الجاهلية ويثنى عليه كشعر أمية بن أبى صلت. ولم يقتل إلا عديم المروءة ذاك الذى تجرأ بالكذب على الأعراض. فهل الدفاع عن الأعراض قتل لأصحاب المواهب؟!، فهل يترك الدني البذيء يتعرض للطيبين والطيبات؟!!

(١) التوبة ٨٠ .
(٢) التوبة ٤٣ .

٥. محاولة تأطير البعثة على أنها حالة من الصراع بين بني هاشم (النبي، ﷺ وأبناء عمومته) وبني أمية (أقرب بطون قريش إليهم نسبًا وحسبًا)؛ وغير صحيح فلم يكن رؤوس الكفر من بني أمية وحدهم، بل كانوا من جميع بطون قريش وفى مقدمتهم أقرب الناس للرسول-ﷺ- (عمه أبو لهب)، بمعنى أن الصراع فى قريش لم يتميز لصراعٍ بين بني هاشم وبني أمية. لا قبل الإسلام ولا في عهد النبي-ﷺ-. بل لم يكن الصراع بين النبي -ﷺ- وقريشٍ وحدها، فقد دخل اليهود فى الصراع مبكرًا، وذلك حين اعترض بنو قينقاع على نتائج غزوة بدر وتوعدوا النبيﷺ وأصحابه بالهزيمة إن هم قاتلوهم، وفيهم نزل قوله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغلَبُونَ وَتُحشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئسَ ٱلمِهَادُ) [١])[٢]، ودخلت قبيلة سليم بعد بدر مباشرة (غزوة قرقرة الكدر) ، ودخلت القبائل التي بجوار المدينة المنورة مبكرًا (ضمرة، وغطفان، وغيرهما)[٣]؛ ولو كانت هاشمية لورَّث النبيﷺ الخلافة لأحفاده وأبناء عمومته، وهذا ما لم يحدث، فخليفة رسول الله-ﷺ- لم يكن من بني هاشم، بل وإن أحد الخلفاء الراشدين من بني أمية (عثمان بن عفان رضي الله عنه).

٦. انطلاقًا مما سبق دشن "ول ديورانت" نظرية "التحدي والاستجابة" فى تفسير نشوء الحضارات، وفيها يفترض أن الأمم تبدأ فى إنشاء حضارتها حين يمارس عليها نوعًا من التحدى يحفزها للاستجابة. ويحاول من خلال نظريته هذه تفسير نشوء حضارة الإسلام، وكأن النبي ﷺ استجاب لتحديات الواقع الذي عاش فيه. ويصعب تفسير نشأة الإسلام من خلال "نظرية التحدي والاستجابة" فالإسلام بدأ برسالة من الله، سبحانه وتعالى وعز وجل، أعطت رؤى خاصة لتفسير سبب الخلق والهدف من الحياة والمآل بعد الممات، والذين استجابوا لله ورسوله تغيروا هم أنفسهم

---

(١) آل عمران ١٢ .

(٢) **ينظر : "جامع البيان فى تأويل القرآن "**، لمحمد بن جرير الطبرى، مرجع سابق، ج٦، ص٢٢٧.

(٣) ينظر : " **السيرة النبوية لابن هشام** " ، لعبد الملك بن هشام ، مرجع سابق، ج٢، ص٤٥.

ثم غيروا الواقع. الله–سبحانه وتعالى– هو الذى حدد من يتلقى رسالته والمكان الذى تبدأ منه الدعوة (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[١]. وحركة التجديد لا تكون فى العقائد وإنما فى الأحكام الفقهية التى تعالج ما استجد من أحوال الناس.

ثانيًا: زكريا بطرس.

على العكس من ديورانت فإن أطروحات زكريا بطرس لم تأخذ شكلًا هادئًا، ولم ترتدِ ثوب المدح للنبي ﷺ بل حاول زكريا بطرس رسم صورة شديدة التواضع للنبيﷺفى أخلاقه وتأثيره فى واقع الناس. وردد ذات الشبهات التى قالها "ديورانت" ومن قبله مشركي قريش، فادعى أنهﷺ تعلم من بعض الأشخاص فى مكة[٢]، وأنه ﷺ كانت له علاقات مع علماء النصارى يجتمع معهم ويسمع منهم، وأنه التقى المهرطقين فى اليمن[٣]، وأنه خرج فى الناس يطلب ملك أجداده[٤]، وأنه كان يغيب عن وعيه حال الوحي[٥]. يقول الله تعالى: (كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّثلَ قَولِهِم تَشَٰبَهَت قُلُوبُهُم) .[٦]

(١) الحج ٧٥ .
(٢) الحلقة الحادية عشر من برنامج فى الصميم (شخصية الراهب بحيرا)، أخذت بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١٣، من الرابط: https://www.islam-christianity.net/
(٣) أسئلة عن الإيمان الحلقة (٦٣)، أخذت بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١١، من الرابط: https://www.islam-christianity.net/
(٤) برنامج فى الصميم الحلقة السادسة أخذت بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١٣، من الرابط: https://www.islam-christianity.net/
(٥) أسئلة عن الإيمان الحلقة (٢٧)، أخذت بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١٣، من الرابط: https://www.islam-christianity.net/. وينظر: الحلقة (١٩) من برنامج حوار الحق أخذت بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١٣ https://www.islam-christianity.net/ .
(٦) البقرة ١١٨ .

ويرد على الجميع بما سبق تقريره فى المبحث الأول من أنه ﷺ لبث فيهم عمرًا من قبله، لم يتعلم على أحد أقرانه، ولم يحدثهم بشيء مما جاء به بعد البعثة، ولم يأتهم بشيء مما كان فى أيديهم.

المطلب الثاني
أقوال المنتسبين للإسلام

حاول عدد من المنتسبين للإسلام قراءة البعثة المحمدية باستخدام مقولات المستشرقين وعلماء الاجتماع الغربي، وأهم هذه المقولات: القول بتأثير البيئة، والقول بتأثير العامل الوراثي. بمعنى أن البعثة المحمدية كانت إفرازًا لتفاعلات خاصة بالبيئة التي عاش فيها رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وانعكاسًا لصفاتٍ شخصية ولم تكن وحيًا من الله، وفى هذا البحث محاولة لتوضيح أقوال هؤلاء والرد عليهم في ضوء فجائية الدعوة.

أولًا: القول بتأثير البيئة. حيث يدعى هؤلاء أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت قبل الإسلام هى التى مهدت لظهوره، وبالتالى فإن البعثة المحمدية ظاهرة بشرية وليست رسالة من الله لخلقه. وهؤلاء هم الذين وافقوا المستشرقين. ومن أشهرهم سيد القمني وخاصة فى كتابيه "الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية" وكتاب "حروب دولة الرسول"[(١)]، حيث ادعى أن الإسلام رسالة سياسية هدفها الأول تكوين "دولة الحزب الهاشمي"، أو "دولة بني هاشم"، وأن المنادين بالدولة الهاشمية (عبد المطلب ومن بعده محمد ﷺ)، اتخذوا الدين أداة لتكوين الدولة، واستمدوا الدين من الحنيفية ملة إبراهيم؛ وأن بني أمية قاموا بانقلاب على الهاشميين بعد ذلك وأسسوا دولتهم[(٢)].

---

(١) ينظر : **" الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية "**، لسيد محمود القمني، (المملكة المتحدة، مؤسسة سي آي سي، ٢٠١٧م) ، **وينظر : " حروب دولة الرسول "**، لسيد محمود القمني، (القاهرة، مدبولي الصغير، ١٩٩٦م).

(٢) **ينظر:" الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية"**، لسيد محمود القمني،(المملكة المتحدة، مؤسسة سي آي سي، ٢٠١٧م).

وغير صحيح ما يدعيه (أو ينقله) سيد القمني، فلم يؤسس النبي، ﷺ دولة هاشمية. ويَعرف الجميع أن النبي ﷺ لم يترك الأمر لبني هاشم، وأن أحد الخلفاء الراشدين كان من بني أمية (عثمان بن عفان رضي الله عنه).

وظهرت أطروحات أخرى من بعض المنتسبين للإسلام السياسي اقتربت بشكل كبير من أطروحة سيد القمني، حيث إدعى هؤلاء أن ظروفًا اقتصادية واجتماعية وسياسية ساعدت فى أن تصل الرسالة لما وصلت اليه، من هؤلاء أطروحة الأستاذ وضَّاح خَنْفَرْ فى كتابه "الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية فى السيرة النبوية"[(١)]، يقول: تشققت المنظومة الدولية وسقطت الإمبراطورية الرومانية قبل البعثة(٤٧٦م)، بمعنى أن ضعف الإمبراطوريات وانهيارها هو سبب التمكين لهذا الدين على يد سيد المرسلينﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين. والحقيقة أنه لا يوجد انهيار دولي، وإنما أمم تذهب وأخرى تجيء. والإمبراطورية الرومانية، هذه التى يتحدث عنها الأستاذ وضّاح خنفر، حدث لها تجديد لا انهيار، وقد جاءهم النبيﷺ وهم أقوياء، يحكمون أوروبا والشام ومصر وشمال أفريقيا، يقول الله تعالى: (غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدنَى ٱلأَرضِ وَهُم مِّنۢ بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ) [(٢)] ، ولم تكن قوة المسلمين تقارن بقوة الممالك على أطراف الجزيرة فى اليمن والعراق والشام فضلًا عن الفرس والروم. وفي محاولة لإعطاء البعد الاقتصادي أهمية كبرى يدعي الأستاذ "وضاح خنفر" بأن حملة أبره الحبشي لهدم الكعبة إنما كانت حملة على المدن التى تتاجر مع فارس (الطائف... ومكة). وهذا تفسير رغائبي، بمعنى أن المتحدث يبث رغباته، والتى هى: ادعاء أن القوى فى الجزيرة العربية وحولها كانت تتصارع على التجارة (الأسواق) كما يحدث اليوم، وفى صريح القرآن الكريم أن تجارة قريش كانت

(١) ينظر :" **الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية فى السيرة النبوية** "، لوضَّاح خنفر،(بيروت، جسور للترجمة والنشر،٢٠٢٠)

(٢) الروم ٢ ــ ٣ .

مع أهل اليمن الموالين للفرس (رحلة الشتاء) ومع أهل الشام الموالين للروم (رحلة الصيف) وأنها كانت مستقرة.. أمرًا يألفونه ويمارسونه بلا كدر، يقول الله تعالى (لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ. إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ. فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ. ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ)[١])[٢]، وأبره جاء لهدم الكعبة كي يعظم الناس البيت الذي بناه في اليمن (القليس)[٣] ، بمعنى أنه جاء لأغراضٍ دينية، يستهدف القضاء على بقايا الحنيفة (ملة إبراهيمٍ) فى مكة وإقامة دينٍ آخر فى صنعاء اليمن، ولم يتحدث عن تجارة، ولم يكمل الرحلة بعد مكة كما ادعى وضاح خنفر بل أهلكه الله وجيشه بالطير الأبابيل (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ. أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ. وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ. تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ. فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ)[٤])[٥].

وتعكس أطروحات هؤلاء تأثرًا بفكرة التطور المعرفي وتغييب الوحي كفاعل أولي.. كنقطة بدء، وهذا الإيمان بالتطور المعرفي شديد الوضوح فى أطروحة توفيق فهد فى كتابه "الكهانة العربية قبل الإسلام[٦]" حيث يدعي فهد بأن الكهانة مرتبطة بالنبوة غاية الارتباط، وأن الكهانة هى جذر النبوة الأصلي أو درجتها الأولى، وأن ليس ثمة انقطاع يفصل بين هذين المفهومين المتكاملين، وأن التطور فى المجتمع هو الذى أوجب التطور من الكهانة (المصاحبة للبداوة) إلى النبوة (المصاحبة

---

(١) سورة قريش .

(٢) ينظر:"**الجامع لأحكام القرآن"**، لمحمد بن أحمد القرطبى (القاهرة، دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج٢٠، ص٢٠٤.

(٣) هى الكنيسة التى بناها أبرهة على باب صنعاء، ينظر: **"معجم البلدان"**، لياقوت الحموي، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م)، ج٤، ص٣٩٤.

(٤) سورة الفيل .

(٥) **ينظر:" تفسير القرآن العظيم "**، لابن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٨، ص٤٨٣.

(٦) **ينظر : " الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العراف، الرب، ذو إله، الحمس "**، لتوفيق فهد، ترجمة: حسن عودة- رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م).

للتمدن). ويحاول توفيق فهد تفسير الواقع من خلال نظرية التطور المعرفي. وهذا بعيد فلم يتعاطى النبي ﷺ شيئًا من الكهانة، والله يقول: (فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ) [١] ، والله يقول: (وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلا مَّا تُؤۡمِنُونَ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيل مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[٢] ، والنبي يتلقى وحيًا من الله والكاهن يتلقى وحيًا من الشيطان، يقول الله تعالى: (هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ) [٣] ، ويقول الله تعالى: (وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡق وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ) [٤] .

وذات الفكرة عند عباس العقاد، ولكنها معكوسة، حيث ادعى أن صلاح حال الناس إنما يكون بالأنبياء وبالكهان!!. فادعي عبَّاس العقَّاد أن المدن ذات الحضارات القديمة لا تصلح لدعوة الأنبياء، وإنما يصلح لها الكهان، يقول: (فليست دعوى النبوة بالدعوة التى تشيع وتجتذب إليها الأسماع فى مواطن الحضارة القديمة بعد استقرار العمران فيها بعاداته وآفاته مئات السنين أو ألوف السنين... وإذا شاع الفساد فى مواطن الحضارة فالمسألة فى هذه الحالة مسألة تشريع وقانون أو مسألة تنظيم وتدبير.. فليست بلاد العمران المتصل مهدًا صالحًا للرسالة والنبوة)[٥]!! والصحيح أن دعوة الأنبياء عمت الجميع، فلم تترك بيت مدر ولا وبرٍ إلا دخلته، ولم تقتصر دعوتهم على نوعية معينة من المدن بل جاءت للجميع، وأبرز الأمثلة وأشهرها موسى، عليه السلام، بُعث فى أقوى حضارة فى زمانه وحيث الكهان!! ومن قبله إبراهيم، عليه السلام، كان فى بلد ذات حضارة أيضًا (العراق)، وهود، عليه

(١) الطور ٢٩ .
(٢) الحاقة ٤١ــ ٤٣ .
(٣) الشعراء ٢٢١ ، ٢٢٢ .
(٤) الأنعام ١٢١ .
(٥) ينظر: " **إبراهيم أبو الأنبياء إبراهيم** " ، لعباس محمود العقاد، (القاهرة، نهضة مصر، ١٩٩٣)، ص ١٤١، ١٤٢.

السلام، بعث فى قوم كانوا يبنون بكل ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، وإذا بطشوا بطشوا جبارين، وصالح كان في قوم ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين... إلخ. فليس بصحيح ما يدعيه العقَّاد من أن الرسالات تصلح لبيئة والكهانة تصلح لبيئة أخرى، والله يقول: (وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ) [١]، والله يقول: (وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ) [٢]، والله يقول: (وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞ) [٣]، والله يقول: (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ)[٤]، والله يقول: (كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ) [٥] ، كما أن الكهانة وجدت فى البادية كما وجدت في الحضر، ووجدت فى المدن الكبرى وفى المدن الصغرى. وجدت فى كل مكان حلَّ فيه الإنسان.. عند العرب وعند الهنود وعند الرومان وعند اليونانين وأهل السودان، وليس فقط فى المدن الكبرى كما ادعى العقَّاد.

ثانيًا القول بتأثير العامل الوراثي. حيث ظهرت بعض الأطروحات التى حاولت تفسير البعثة المحمدية من خلال العوامل الوراثية (الإمكانات الذاتية) لشخص الرسولﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ومن أشهر هذه الأطروحات "العبقريات"(عبقرية محمد، وعبقرية عمر، وعبقرية أبو بكر، وعبقرية علي، وعثمان ذو النورين، والصديقة بنت الصديق، وفاطمة الزهراء)، وتنطوي العبقريات على فكرة رئيسية مفادها أن السيرة، أو التاريخ عمومًا، من صنع أفراد معدودين (العباقرة). وهؤلاء "العباقرة" صنيعة العوامل الوراثية والبيئية التي نشؤا فيها، فكل منهم ورث أباه وتأثر ببيئته، ولا تكاد تجد ذكرًا للوحي فى تفسير الأثر الذى أحدث النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وعلى سبيل المثال: عرَّف العقاد الرسول بأنه "هو

(١) فاطر ٢٤ .
(٢) الرعد جزء من الآية ٧ .
(٣) يونس جزء من الآية ٤٧ .
(٤) النحل ٣٦ .
(٥) الملك جزء من الآية ٨ .

الذى **له وازع من نفسه** فى الكبير والصغير مما يتعاطاه من معاملات الناس؛ لأن عمل الرسول الأول أن يقيم للناس **وازعًا يأمرهم بالحسن وينهاهم عن القبيح** ويقرر لهم حدودهم التى لا يتخطونها فيما بينهم"[١]، وفى كتابه "عبقرية محمد" باب "محمد السيد" يؤكد على أن **دافع ما كتبه تحت مسمى "عبقرية محمد" ﷺ هو بيان البواعث النفسية التي توحي إلى النبي ﷺ أعمالَه ومعاملاته!!** فعنده أن دوافع الرسول ذاتية ما يسميه، فى مكانٍ آخر "الوعي الكوني"!!

وعند عبَّاس العقاد أن عبادة النبي ﷺ، لم تكن بتعاليم الوحي وإنما بما ورثه من آبائه وبيئته؛ يقول تحت عنوان "العابد": "تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه؛ فولد فى بيت السدانة والتقوى، وتقدمه آباءٌ يؤمنون ويوفون بإيمانهم، ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه..."[٢]. وهذا جهل بما اشتهر، فَسَدَانَةُ البيت لم تكن فى بني عبد المطلب، ولا فى بني عبد مناف وإنما كانت في بني عبد الدار، وحديث رد مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة العبدري معروف مشهور[٣]. ولم تكن عبادة النبي ﷺ يشبهها شيء من فِعال أهل الجاهلية، لا فى قريش ولا فى غيرها. أكانوا يركعون ويسجدون؟!، أم كانوا يصومون كما يصوم ﷺ ؟!، أوْ كان يحج ﷺ كما يحجون؟! وأكدَ عبّاس العقاد مرارًا على أن ما كان بأبي بكر هو خلق أصيل فيه، يقول: "أدب الطبع الذى يهتدي من نفسه"، يقول: "يدري بوحي نفسه"!! وعندَ العقَّاد أنَّ عمرَ آمنَ بالنبيِ ﷺ؛ لأنه كان معجبًا بهِ، يقول: "عمر كان يحب محمدًا حب إعجاب، ويؤمن به إيمان إعجاب"[٤]!!

---

(١) ينظر : " **عبقرية محمدﷺ** " ، لعباس محمود العقاد ، (القاهرة، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، ٢٠١٩)، ص١٩٠.

(٢) المرجع سابق، ص١٤٢.

(٣)ينظر: " **زاد المعاد في هدي خير العباد** " ، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ،١٩٩٤م)، ج٣، ص٣٥٨.

(٤) **ينظر:"عبقرية عمر"** ، لعباس محمود العقاد، (القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م)، ص٤٣٨.

ويصعب التسليم للقول بأن البيئة والعوامل الوراثية هى التى صاغت محمدًاﷺ وأصحابه، رضوان الله عليهم، فبدهي أن ذات البيت وذات البيئة أنتجت الأضداد، فقد كان خير خلق الله ﷺ، وأبو طالب وأبولهب، من بيئة واحدةٍ. بل ومن بيتٍ واحد "بني عبد المطلب بن هاشم"؛ وخرج من صلب رأس النفاق (ابن سلول) ابنه "عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول"، وكان ممن يحب الله ورسوله؛ وفي بيت نبي الله نوح، عليه السلام، تربى ولده الذى كان من المغرقين؛ وفى بيت فرعون كانت آسية التي صدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين، وفى بيت نوح ولوط، عليهما الصلاة والسلام، كانت امرأتان على غير ما عليه زوجيهما. فكيف يقال أنها البيئة وأنها العوامل الوراثية؟!

وما يرثه الإنسان من آبائه واجداده لا يعدوا أن يكون استعدادًا للفعل ثم تدخل المناهج النظرية والتطبيقات العملية التى يتلقاها الفرد فى البيت والبيئة، وفى الحديث:"فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[1]. والإنسان يتلقى من بيئته حسب ما أودع الله فى النفس من استعداد للإيمان أو الكفر والضلال؛ فذات النص يُقرأ من شخص واحدٍ فى مجلسٍ واحدٍ على قومٍ من بيئة واحدة ثم تكون الثمرة مختلفة، وفى محكم التنزيل، يقول الله تعالى: (يضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)[2]. ويقول الله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتهُم إِيمَانا وَهُم يَستَبشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [3] .

---

[1] **ينظر : " الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه "** ، لمحمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل فى أبناء المشركين، ج٢، ص١٠٠.

[2] البقرة جزء من الآية ٢٦ .

[3] التوبة جزء من الآية ١٢٤ ، ١٢٥ .

المطلب الثالث

تكوين الشبهات واستمرارها

بالمطالعة فى الشبهات التي رددها غير المسلمين ومن وافقهم من المسلمين يمكننا تسجيل عدد من الملاحظات الهامة على هذه الشبهات، أهمها: فساد مصدر الاستدلال، وفساد منهجية الاستدلال، تكرر الشبهات رغم الرد عليها، وذلك على النحو التالى:

فساد مصدر الاستدلال.

تتكون الشبهات فى الغالب من خلال الاعتماد على مصادر خاصة بالمستشرقين، حيث أن المخالفين للشريعة كتبوا وجهة نظرهم عن الشريعة (الأحكام) والسيرة والتاريخ (التطبيق العملي للدين) وينقلون عما كتبوه هم بأيديهم، ومن أشهر الأمثلة على ذلك "دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedia of Islam" وهى موسوعة أصدرها المستشرقون عن الإسلام دينًا وتاريخًا وحضارة وآدابًا وعلومًا واقتصادًا وسياسةً وأعلامًا، بمعنى قراءة شاملة للإسلام. وبعد صدورها بفترة أخذوا منها المواد الخاصة بالدين وعلومه وأعلامه ثم أصدروا ذلك فى مجلد واحد بعنوان "Shorter Encyclopaedia of Islam" وفي هذا المجلد يوجد الفكر الاستشراقي فيما يتعلق بالدين وسيد المرسلين ﷺ، وقدّم كتّاب الموسوعة أسوأ التفسيرات، وتم عّزو الأعمال العظيمة إلى أحط البواعث، ونثروا بذور التشكيك في مصادر السيرة والتاريخ الإسلامي(١). والمعاصرون من أمثال زكريا بطرس و"ديورانت" يتكئون على هذه الموسوعة كمصدر للاستدلال، وهو قولهم هم يستدلون به. ومن مصادر استدلالهم رسائل علمية خرجت من مراكز بحثية خاصة بهم، ومثلًا:

(١) ينظر : **" دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل "** ، د. إبراهيم عوض، (القاهرة، مكتبة البلد الأمين، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٥.

يتكئ زكريا بطرس في ادعائه أن النبي ﷺ تعلم على يد بحيرا الراهب على رسالة ماجستير من جامعة برمنجهام بانجلترا١٩٨٣م، فالرسالة قام بها طالب نصراني اعتمد على مصادر نصرانية، فالباب الثالث من هذه الرسالة، حسب ما نقله بطرس هو: "لقاء بحيرا ومحمد وفقًا للتراث المسيحي"، والباب الرابع: "تقييم تاريخي ثيولوجي (لاهوتي) لقصة بحيرا الراهب"، وحين تعرض صاحب الرسالة للمصادر الإسلامية ذكر أنها لم تذكر أن بحيرا التقى النبي ﷺ إلا مرتين: الأولى فى سن الثانية عشر من عمره، وقد تعرف عليه بحيرا من خاتم النبوة، والمرة الثانية بين العشرين والخامسة والعشرين من عمره ﷺ ولم يكلمه بحيرا بل أشار إليه وقال: هذا رسول رب العالمين[١] .

ومن أمثلة المصادر التى يعتمدون عليها كتاب "شعراء النصرانية" وكاتبه هو لويس شيوخ اليوسوعي[٢] نصراني شديد التعصب جعل عامة شعراء الجاهلية نصارى[٣]!!

ومن الأمثلة كذلك: كتابات القس جوزيف قذى الأربعة، وهى: "قس ونبي"، و"نبي الرحمة" و"عالم المعجزات"، و"أعربي هو" وهو قس نصراني قدم رؤية عن البعثة المحمدية خطها من رأسه ثم نشرها باسم إسلامي (أبو موسى الحريري)، ونقلها عنه بعض المسلمين مع تعديلات قليلة، ومن أشهرهم المحامي خليل عبد الكريم ومن كتبه التى نقل فيها عن "جوزيف قذى" "فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين"، وكتاب "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية".

---

(١) الحلقة (١٣)، والحلقة (١٤) من برنامج فى الصميم، أخذ من هذا الرابط بتاريخ ٢٠٢١/١٠/١٩: الموقع الرسمى للقمص زكريا بطرس(islam-christianity.net)

(٢) واسمه كاملًا: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب بن شيوخو اليسوعي، ولد فى العراق ١٨٧٩م، وتوفي ببيروت عام ١٩٢٧م.

(٣) **ينظر : " رواد النهضة الحديثة "** ، لمارون عبود، (القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥)، ص٢٢٦.

والمقصود هو بيان أن الشبهات التى تكونت ضد الدين وسيد المرسلين ﷺ إنما تكون عامتها من مصادر غير إسلامية مباشرة أو بشكل غير مباشر (عن طريق من نقل عنهم).

فساد منهجية الاستدلال.

وبعض الشبهات تكونت من خلال منهج استدلال فاسد، وذلك أنهم يقتطعون نصًا، أو حدثًا، صحيحًا من سياقه ثم يفسرونه من عند أنفسهم، كما فى قصة أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان التى ادعى أن النبي ﷺ تزوجها توددًا لأبيها، فالقصة من حيث الأصل صحيحة ولكن الفاسد هو استنباط صانع الشبهة فالنبي ﷺ لم يتودد لأبي سفيان بل كان يواسي أصحابه؛ وكما فى قصة ورقة بن نوفل فصحيح أن ورقة كان بمكة وكان يقرأ فى كتب النصارى ولكنه لم يعلم النبي، ﷺ شيئًا، ولم يلتقيه إلا مرة، وتحدث إليه فى هذه المرة بكلمات معدودة، يفسر بها ما رآه فى غار حراء. والهدف الرئيس من تعمد صناعة الشبهات هو التأطير الخادع، بمعنى إظهار البعثة المحمدية بثوب آخر غير أنها رسالة من الله لخلقه، انطلاقًا من تعظيم النبيﷺ ووصفه بأنه عبقري كما ذهب العقاد، أو عظيم كما وصف "ديورانت" أو غير ذلك مما إدعاه بطرس وأمثاله.

تكرار الشبهات رغم الرد عليها:

من أهم الملاحظات على شبهات المخالفين أنه تتكرر رغم الرد عليها، فهؤلاء الذين يتحدثون فى واقعنا المشاهد من خلال الكتب والبرامج التلفزيونية يكررون ما تم الرد عليه من قبل، وفى هذا أمارة على أنها حالة من الرفض والصد عن سبيل الله، وهو حال الملأ الذين قال الله فيهم ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا

(١) النمل ١٤ .

السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) [1] ، وقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) .[2]

(١) النساء ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) آل عمران ٩٩ .

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:-

حاولتُ مواجهة عدد من الشبهات التى يُروج لها فى الكتابات الأكاديمية والقنوات الفضائية، من غير المسلمين ومن المسلمين، تلك التى تدعي أن البعثة المحمدية ظهرت بتأثير عوامل ذاتية تتعلق بشخص الرسولﷺ، أو بعوامل تتعلق بالتفاعلات التي حدثت فى البيئة التى نشأ فيها الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وذلك بما رد الله به على الذين تحدثوا بمثل هذه الشبهات فى مواجهة النبي وأصحابه، وذلك بإبراز موضوع "فجائية الدعوة" وانتهت الرسالة لعددٍ من النتائج، أهمها:

١. أن النبي ﷺ، وكذا كل نبي، اصطفاه الله لرسالته، (ٱللَّهُ يَصطَفِي مِنَ ٱلمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِير) [١]، (فَإِنَّكَ بِأَعيُنِنَا) [٢] ، (إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ)[٣] ؛ولم يُعلِّم نفسه أو يعلمه أحدُ أقرانه.

٢. أرسل الله الأنبياء لإصلاح دنيا الناس وأخراهم بدعوة الناس للتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد. بمعنى أن للوحي (كتاب وسنة) الأثر الأكبر فى معالجة انحرافات الناس العقدية ومن ثم السلوكية.

٣. لا تستند كتابات المعاصرين، التى تدعي أن البعثة المحمدية جهد بشري، على أدلة صحيحة، وتم الرد عليهم من عهد النبي ﷺ ومع ذلك يكررون ذات الشبهة مرة ثانية، وفى هذا أمارة على أنها حالة من الحرب ضد الدين وليست حالة من اشتباه الأمر عليهم.

---

(١) الحج ٧٥ .
(٢) الطور ٤٨ .
(٣) النجم ٤ .

٤. وقع عدد من المخلصين فى فخ الاستشراق حين وصف النبيﷺ بالعظمة والعبقرية يريد المديح، ثم هو، من حيث لا يشعر، ينفي الوحي أو يقلل من أهميته.

المراجع

١. إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معانى القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢. إبراهيم عوض، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، (القاهرة، مكتبة البلد الأمين، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٣. أبو زكريا محي الدين يحى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

٤. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٥. أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥هـ).

٦. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

٧. أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٨. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٩. إسماعيل بن عمر بن كثير، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).

١٠. الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

١١. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل فى تفسير القرآن، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠).

١٢. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العراف، الرب، ذو إله، الحمس، ترجمة: حسن عودة– رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م).

١٣. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار الصادر،١٤١٤هـ).

١٤. جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، (العراق، جامعة بغداد، ١٤١٣، ١٩٩٣م).

١٥. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

١٦. سيد محمود القمني، الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، (المملكة المتحدة، مؤسسة سي آي سي، ٢٠١٧م).

١٧. سيد محمود القمني، حروب دولة الرسول، (القاهرة، مدبولي الصغير، ١٩٩٦م).

١٨. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

١٩. عباس محمود العقاد، عبقرية محمدﷺ، (القاهرة، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، ٢٠١٩).

٢٠. عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء إبراهيم، (القاهرة، نهضة مصر، ١٩٩٣).

٢١. عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، (القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م).

٢٢. علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول**، (الدمام، دار الإصلاح،

١٤١٥هـ/١٩٩٢م).

٢٣. عماد السيد الشربينى، رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة، (القاهرة، مطابع دار الصحيفة، ٢٠٠٣).

٢٤. مارون عبود، رواد النهضة الحديثة، (القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥)، ص٢٢٦.

٢٥. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠/٢٠٠٠)

٢٦. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، زاد المعاد فى هدي خير العباد، (بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ،١٩٩٤م).

٢٧. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٢٨. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، (بيروت، دار ابن كثير، اليمامة،١٤٠٧هـ/ ١٩٩٨٧م).

٢٩. محمد بن حبان، الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٣٠. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان فى تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م).

٣١. محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٣٢. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٣٣. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (بيروت، دار الجيل،د.ت)

٣٤. وضَّاح خنفر، الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية فى السيرة النبوية، (بيروت، جسور للترجمة والنشر،٢٠٢٠)

٣٥. وِل وَايريْل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

٣٦. وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

مواقع إلكترونية:

موقع القمص زكريا بطرس.: https://www.islam-christianity.net/